كيف نعيد تربية أمتنا على الإسلام من جديد؟

في ظل الظروف الحالكة التي يعيشها المسلمون في كل مكان، والتي يعاني فيها غالبية المسلمين من الآلام ما لا تحتمله الرواسي الشامخات ... قد يسأل سائل: ما خلاص المسلمين من أزمتهم وعنائهم ونكدهم وشقائهم؟ والجواب معروف واضح لا غموض فيه: قال تعالى: "فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى" (طه : ١٢٢). إذن فهدى الله هو الخلاص ... ولا منقذ غيره أبداً.

وهدى الله يتمثل في: الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن طريق قيام جماعة تقوم بتكاليف هذه الدّعوة[١].

قال تعالى: "ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (آل عمران: ١٠٤).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لن يزال على هذا الأمر عصابة على الحقّ، لا يضرّهم خلاف من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله عزّ وجل وهم على ذلك"[٢].

والعمل في جماعة لإعادة الخلافة الإسلامية إلى الأرض بعد غيابها عن الوجود والشهود فرض على كل مسلم؛ لأنّ معظم تكاليف الإسلام جماعية، ولا يستطيع المسلم أن يمارس أحكام دينه إلا في ظل مجتمع مسلم. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإعادة الخلافة الإسلامية إلى الحياة فرض، والعمل من أجل قيامها فرض كذلك. قال تعالى: "إنّما وليّكُم الله ورسوله والذين آمنوا" (المائدة: ٥٥).

فالولاية إنما تكون – في الله – مع المؤمنين: قال تعالى: "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (الأنفال: ٧٣). فإنْ لم يتولّ المؤمنون

---

(١) من أهم مراجع البحث: كتاب الدعوة الإسلامية لصادق أمين، ومشكلات الدعوة والداعية لفتحي يكن.

(٢) رواه الإمام أحمد. أنظر البنا: الفتح الرباني ٨٧/١، وانظر روايات هذا الحديث في مسلم ١٥٢٣/٣ ومعنى حتى يأتيهم أمر الله: أي: حتى تقوم الساعة.

بعضهم بعضا – كما يتكالب الكفار جميعاً عليهم وينصر بعضهم بعضا – فـإنّ الفتنـة تعـمّ الأرض.

إنّ العمل لإعادة تربية الأمّة على الإسلام من جديد: فريضة شرعية وضرورة إنسانية، وهذا لا يكون إلا بالطريق التي سار عليها الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وأتباعهم؛ مـن تربية مجموعة تفهم حقيقة الدعوة وتتحرّك بها ... حتى النصر أو الشهادة : "ولقد كُذّب رُسُلٌ من قَبْلك فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مُبدّل لكلمات الله ولقد جاءك نبإ المرسلين" (الأنعام: ٣٤).

ومع الشقاء الذي يعانيه الناس ... فإنهم لا يؤوبون إلى دينهم بغير منارة يهتـدون بهـا ويأوون إليها ... وهذه المنارة هي جماعة إسلامية عالمية عاملة صادقة.

ولكن هل يمكن أن يتحقّق وجود مجتمع إسلامي في هذا العصر الجاهلي؟

والجواب: بلى! لأنه مجتمع يتجاوب مع الفطرة الإنسانية ويلبّي حاجاتهـا. وقـد شـهد التاريخ قيام هذا المجتمع قروناً طويلة ... والذي حدث مرة يمكن أن يحدث مرات. كيـف لا ... وهو مجتمع يقوم على العقيدة الإلهية التي لا غناء للنفس أو الجماعة عنها، وهـو كـذلك يتّسع لجميع الأجناس والألوان في كل زمان ومكان؟!

ومهما حاولت القوى المعادية طمس معالم هذا الدين ... فإنّها لن تفلح ... والتاريخ شاهد على ذلك. وصدق الله العظيم : "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولـو كـره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الـدين كلـه ولـو كـره المشركون" (الصف: ٨ و ٩).

ولا يتمّ هذا إلا بوجود جماعة مؤمنة تدعو لهذا الدين ويتمثّل فيها، وتنطلق مـن أرض الإسلام كدولة مجاهدة لنشره بين الناس ... .

ومع الكيد العالمي للدعوة الإسلامية ... فإنّ المستقبل – بإذن الله – لهذا الدين: "ألم تـر كيف ضرب الله كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلهم يتذكرون" (إبراهيم: ٢٤ و ٢٥).

إنّ جذور الإسلام عميقة، ضاربة في شعاب الفطرة، متّصلة بأغوار النفس، مستكنّة في أعماق القلب والضمير ... وبإزالة الركام والران عن القلوب: فإنها تتجاوب مع هدى الله عزّ وجل. والدعوة الإسلامية صاحبة حقّ، لأنها تستمد قوّتها من الحقّ تبارك وتعالى: "ذلك بأنّ الله هو الحقّ ما يدعون من دونه هو الباطل" (الحج: ٦٢).

والمجتمع الإسلامي مع هذا كله هو طريق الخلاص الوحيد للبشرية المهدّدة بالدمار والبوار، حيث إنه الاستجابة لنداء الفطرة، والفطرة في ساعة الخطر تتنبّه وتعمل ... مهما تكن في خبال أو دوار. إنّ الإسلام ضرورة إنسانية وحتمية فطريّة، ومن ثمّ فإنّ الدافع لبروزه أقوى من كل قوّة معوّقة ... إنه إن لم يقم اليوم فسيقوم غداً. ولكنّ الطريق إليه شاق ... مليء بالأشواك. وأعسر ما في الطريق: أن نرتفع بتصوّراتنا وأخلاقنا وسلوكنا ثم بواقعنا الحضاري الماديّ إلى مستوى الإسلام ...* .

إنّ انهيار النظم القائمة سيعيد الإنسان إلى الله ... أما الرأسمالية فقد استهلكت كعقيدة ونظام في معظم أرجاء الأرض ... وأمّا الشيوعية فقد بدأت تنهار** ... فلا بدّ من نظام آخر يملأ الفراغ... والنظام الآخر هو الإسلام ... إنّ من استهزاء الله بهذه الجاهلية التي تكيد لدينه في كل الأرض، أن تقوم حركة إسلامية شابّة تدعو إلى إقامة حكم إسلامي في أمريكا: "ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين" (آل عمران: ٥٤).

ولن تستطيع قوى الشر العالمية أن تهزم الدعوة الإسلامية مهما بغت*. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحقّ، ظاهرين على من نأواهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)[(١)].

وإذا كان من السنّة تأمير واحد – إذا كانوا ثلاثة فأكثر – في السفر، فما بالك بمن يريد إعادة المجتمع الإسلامي؟!

---

* أنظر سيّد قطب: الإسلام ومشكلات الحضارة.

** وأكبر دليل على ذلك: انهيار الإمبراطورية الشيوعية في هذه الأيام.

* أنظر محمد قطب: جاهلية القرن العشرين.

(١) مسلم ٣/١٥٢٣-١٥٢٥.

وإذا كان الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يسيحون في الأرض جهاداً في سبيل الله وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتبليغاً لدعوة الله ... وهم يعيشون في ظل مجتمع إسلامي، فإنّ الدعوة إلى الله اليوم أكثر ضرورة من أي وقت مضى!

وكلّ من يموت وهو لا يعمل لإعلاء كلمة الله فإنه آثم!

إنّ المعروف الأكبر: هو توحيد الله وعبادته، وثمرة ذلك: الفوز بسعادة الدارين.

وإنّ المنكر الأكبر: هو الشرك والكفر والنفاق، ونتيجة ذلك: خسارة الدارين والعياذ بالله! وكلّ خيْر أو شرّ نابع من هذين الأمرين:

يجب العمل للإزالة المنكر العظيم المتمثل بإقصاء الإسلام عن الحياة.

إنّ إقصاء الحكم الإسلامي، والتقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتـــرك الجهاد في سبيل الله ... جرائم ر يكفّرها إلا النهوض بها فوراً. وأيّ تخاذل عن هذه الفرائض يؤدّي إلى فتنة تعمّ الصالح والطالح: " واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الـــذين ظلمـــوا مـــنكم خاصّـــة" (الأنفال:٢٥).

يجب غرس العقيدة في النفوس حتى تحيا الأمة، قال تعالى: "أوَمَنْ كان ميْتـــا فأحيينـــاه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ..." (الأنعام: ١٢٢)، والقلب الميّت لا يجاهد وبالتـــالي لا يمكن أن ينتصر!

وقد يزيّن الشيطان لبعض الناس اعتزال المسلمين والتفرّغ لأداء الشعائر التعبديـــة ...! ومن يفكر هذا التفكير فإنه مخطئ لا محالة! لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر هـــو الركن الركين الذي من أجله كرّم الله الأمة الإسلامية بقوله : "كنتم خير أمة أخرجـــت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" (آل عمران: ١١٠).

وقد جعل المولى تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة فارقة بـــين الإيمان والنفاق، فقال : "المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عـــن

المعروف" (التوبة: ٦٧). "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يــأمرون بــالمعروف وينهون عن المنكر" (التوبة: ٧١).

وطريق الخلاص واحدة: هي طريق الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) : (ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (النحل: ٣٦). فهذه الآية الكريمــة تلخّص رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتبيّن أنّ مهمتهم عبادة الله تعالى، وإنقاذ النـــاس من براثن الطاغوت، وتحكيم شرع الله.

لقد بدأ كل رسول بهذه الدعوة ... والتفّ حول كثير منهم فئة من المؤمنين ... وقامــت الجاهلية في كل مرة بفتنتهم عن دينهم ... فيصبر من يصبر ويرتدّ من يرتــدّ ... والثــابتون يجعلهم الله تعالى ستاراً لقدره، وأداة لنصرة دينه، ثمّ يمكّن لهم في الأرض: "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنّهم لهم المنصورون، وإنّ جندنا لهم الغالبون" (الصّافات: ١٧١–١٧٣).

ومن رحمة الله بعباده أنه كلما انحرفت البشرية عن الجادّة ... يرسل لها من يردّها إلى سواء الصراط ... وهكذا حتى جاءتنا الرسالة الخاتمة "على صاحبها أفضــل الصــلاة وأتــمّ التسليم" : "ثمّ أرسلنا رسل تترى كلما جاء أمّة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلنــاهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون" (المؤمنون: ٤٤).

وبعد طيّ سجل الرسالات ببعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – وانقطاع الوحي، بعــد ذلك... جعل الله مهمة الدعوة إلى أتباعه – صلى الله عليه وسلم : "وكذلك جعلناكم أمّة وسَطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة: ١٤٢). وعلى هــذا فالأمــة الإسلامية عامة – والعرب بشكل خاص – مسؤولة عن هدايا الناس، ومحاسبة علــى تبليــغ الرسالة إلى البشرية، قال تعالى "وإنه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تسألون" (الزخرف: ٤٤).

والدعاة إلى الله – في كل زمان ومكان – يقومون بمهمة الأنبياء والمرسلين (صــلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ... وهذه المهمة ملقاة على عاتق علماء المسلمين ودعاتهم بشــكل خاص.

وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك – كما يقول الإمام ابن القيّم (رحمه الله) بالمحلّ الذي لا يُنكر فضله، ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيّات، فكيف بمنصب التوقيع عن ربّ الأرض والسموات؟[1].

وسنتناول في هذا البحث – بإذن الله – الحديث عن : كيفية إعادة تربية الأجيال على الإسلام؟ ومن أين نبدأ؟ وكيف نُعدّ المسلم ليكون داعية إلى الله؟ وكيف نُربّي الجماعة لتكون نموذجية رائدة منقذة؟ ونتعرّض خلال ذلك للحديث عن الحركات الإسلامية العاملة، ومن الله العون والتوفيق.

(١) ابن القيّم: أعلام الموقعين ١/١٠.